الجمهوريـــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـة
وزارة التعـليم العـــالي والبحـث العلمـــي
جامعة-أحمد زبانة- غليـزان
كلية الآداب واللغـــــات
قسـم اللغة العربيـة وآدابهـا

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

مختصر :

محاضرات في بلاغة القرآن

تخصص ماستر لسانيات الخطاب

أد.ناعوس بن يحيى

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تحدي القرآن للعرب وغيرهم:

جمهور أهل العلم بالقرآن الكريم على أن أقل قدر تُحُدِّيَ به الثقلان هو السورة أيًّا كان مقدارها الكميّ ، فسورة" الإخلاص " وسورة "البقرة " فى التحدّي سواء من أنّه قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ٢٣﴾ [البقرة: 23]

وقال:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ٣٨﴾ [يونس: 38] وقد جاءت فى كلتيهما (سورة) نكرة ، وفى هذا التنكير دلالة على العموم أىْ أىَّ سورةٍ طويلةٍ أو قصيرةٍ ، ولكنهم يذهبون أيضا إلى أنَّ ما كان كالسورة فى مقدارها الكميّ (ثلاث آيات) فأكثر يقع به التحدّي.

و نحن نعلم أن "القرآن ينزل عليه منجَّمًا ، وكان الذى نزل عليه يومئذ قليلا كما تعلم وكان هذا القليل من التنزيل هو برهانُه الفرد على نبوته ، وإذن، فقليل ما أوحى إليه من آيات يومئذ ، وهو على قلته ، وقلَّةِ ما فيه من المعانى التى تنامت وتجمعت فى القرآن جملة ، كما نقرؤه اليوم منطوٍ علي دليل مُسْتَبِينٍ قاهرٍ ، يحكم له بأنَّه ليس من كلام البشر ، وبذلك يكون دليلا على أنَّ تالِيهِ عليهم ، وهو بشر مثلهم نبى من عند الله مرسَلٌ ، فإذا صَحَّ هذا – وهو صحيح لا ريب فيه – ثبت ما قلناه أوَّلاً من أنَّ الآيات القليلة من القرآن ، ثُمَّ الآيات الكثيرة ، ثُمَّ القرآنُ كلُّه أىّ ذلك كان فى تلاوته على سامعه من العرب الدليل الذى يطالبه

بأن يقطعَ بأنَّ الكلامَ مُفارِقٌ لجنس كلام البشر ، وذلك من وجه واحد ، وهو وجه البيان والنظم."[1]

محاولات مسيلمة الكذاب:

سورة الفيل:

(الْفِيلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفِيلُ، لَهُ زَلُّومٌ طَوِيلٌ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا الْجَلِيلِ الْفِيلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفِيلُ، لَهُ ذَنَبٌ وَبِيلٌ، وَخُرْطُومٌ طَوِيلٌ)

سورة الضفدع:

(يَا ضِفْدَعُ بِنْتُ ضِفْدَعِينَ، نِقِّي مَا تَنِقِّينَ، نِصْفُكِ فِي المَاءِ وَنِصْفُكِ فِي الطِّينِ، لَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ، وَلَا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ.)

سورة الخابزات

(والمُبذرات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والعاجنات عجنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا)

سورة النساء

(إن الله خلق النساء أفواجًا، وجعل الرجال لهن أزواجًا، فنولج فيهن قَعسا إيلاجًا، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجًا، فينتجن لنا سِخالًا نِتاجًا)

(ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، ما بين صفاق وحَشا)

الجماهر

[1] - تقديم كتاب : " الظاهرة القرآنية " لمالك بن نبي : بعنوان : (فصل في إعجاز القرآن) بقلم محمود شاكر – ص:27-28 –ط: دار الفكر – دمشق - 1405

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَمَاهِرْ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَهَاجِرْ، وَلَا تُطِعْ كُلَّ سَاحِرٍ وَكَافِرْ)

وبعد وفاة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم ، زادت آماله العريضة بأن يكون النبي، وواصل دعوته الخبيثة في نفوس بعض البشر الضعيفة فتصدى له (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه بجيش أرسله بقيادة خالد بن الوليد، إلى (اليمامة) ليقضي على أتباع (مسيلمة) والمرتدين عن الدين فكان جزاء صاحبنا القتل على يد وحشي بن حرب (قاتل حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم).

وهنا تتضح عظمة هذا الدين فمن كان ألد أعداء الإسلام بالأمس وقاتل حمزة (عم النبي صلى الله عليه وسلم) والذي مثل بجثته بعد الموت، نراه يوم اليمامة يقتل بيده رأس الفتنة (مسيلمة الكذاب) لعل الله يغفر له خطيئته "قتل عم النبي صلى الله عليه وسلم"بقتل مسيلمة الكذاب.

أما عن قرآن (مسيلمة) فهو مجرد أسجاع شعرية خرجت من كذاب ومدعٍ فما كان لـ (أسجاعه) وقرآنه أن يبقى في النفوس بعد موقعة (اليمامة) وطوي في صفحات الزمن البائد، وحينما يذكر بين الحين والآخر يكون مادة للسخرية والعجب ليس أكثر، أما القرآن الكريم الذي نزل على محمد رسول الله لا يزال باقيًا إلى يومنا هذا يتلى أناء الليل وأطراف النهار وصدق الله العظيم حينما قال:

{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ (17)} (الرعد)

المعنى القرآنيّ : لا يقصد إلى معانى كلمات القرآن الكريم فى حقلها المعجمى ووجودها الإفراديّ ذلك " أن الألفاظ المفردة التى هى أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها فى أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما من فوائد"[2]

المعنى القرآنيّ ضربان :

(الاول) المعنى القصْدِيّ ، وهذا هو عين مراد الله سبحانه وتعالى ،وهو معنى توفيقي ليس لنا معه إلا الاجتهاد في فهمه حين يبلغنا بسند صحيح عن سيد المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم .

(والآخر) المعنى الإدراكِيّ وهو كلُّ ما يدركه أهلُ العلم والتَّدبُّر من النَّصِّ القرآنيّ وفقا لأصول الإدراك والتَّدبُّر وضوابطها وهذا الضرب (المعنى الإدراكي) هو مناط دراستنا ونستطيع أن نعرفه الآن:

« كلُّ مايدركه ويستنبطه أهلُ العلم من النَّصِّ فى سياق السورة المقاليّ والمقاميّ وفقا لأصول وضوابط الفهم والاستنباط »[3].

البلاغة الخاصة بالقرآن

الماهية ومراحل المقاربة

مقدمة :

[2] - دلائل الإعجاز – عبد القاهر - ت:شاكر:539

[3] -عزف على أنوار الذكر،محمود توفيق محمد سعد،ط 1 /1424ه،ص13.كتاب إلكتروني.

إن نظرة سريعة في التراث الفكري الذي خلفته التفسيرات العديدة للقرآن الكريم تهدي إلى أن هناك عدة مناهج ومقاربات أُعتمدت في تأويل و تفسير القرآن الكريم كلٌ لها منطلقاتها و مبادؤها التي ارتكزت عليها ، ومن هنا اختلفت النظرات و التأويلات.

و من المعلوم أن هدف كل التفسيرات،قديما وحديثا، هو الوقوف على المعنى القرآني الذي حملته تراكيبه في مختلف السور،و كلمة المعنى مشتقة من "عنيت كذا : قصدته وعنت القرية : أظهرت ماءها وعنت الأرض: أنبتت نبتا حسنا وتقول :عانيت الأمر: قاسيته وتعناه: تجشمه ، وعناه الأمر: أهمه. أما المعنى الاصطلاحي فهو التَّصَوُّرُ الذِّهْنِيُّ الْمُرْتَبِطُ بِالكَلِمَةِ ارْتِبَاطاً بِالْمُطَابَقَةِ"[4].

معنى المعنى القرآني :

وقد اتفق العقلاء على أن الحديث عن المعنى القرآنيّ لا يقصد إلى معانى كلمات القرآن الكريم في حقلها المعجمي ووجودها الإفراديّ ذلك " أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها فى أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما من فوائد "[5].

و المعنى في القرآن الكريم ،كما بينت الدراسات القرآنية،على نوعين:

1. المعنى القصْدِيّ : هو مراد الله تعالى من كلامه ،و الذي استنبطه الرسول صلوات الله وسلامه عليه من فهمه للقرآن بتوفيق من الله تعالى، لأنه صلوات

[4] – راجع في هذا :التعريفات للسـيد الشـريف:122، معجم النقد العربي القديم لمطلوب:2/310+326، ومعجم المصـطلحات العربية لمجدي وهبة:374،علم النفس اللغوي لنوال عطية:45،42،20، مفهوم المعنى لعزمي سلام:24، سيكولوجية اللغة لجمعة يوسف:125، دور الكلمة في اللغة لستيفان أولمان ترجمة كمال بشر:61، اللغة مبناها ومعناها لتمام حسان: 24

[5] – دلائل الإعجاز – عبد القاهر – ت:شاكر:539

الله وسلامه عليه مبيّن للقرآن، أو استنبطه بالتأمل والاجتهاد، وعلينا فهمه إذا وصلنا بالسند الصحيح.

2. المعنى الإدراكِيّ : هو المعنى الذي توصل إليه أهل العلم و الاستنباط و التدبر وفق مناهج محددة ومعلومة ، وهذا ميدان بحثنا و عملنا هنا ،وقد عُرِّف بأنه:"كلُّ ما يدركه ويستنبطه أهلُ العلم من النَّصِّ في سياق السورة المقاليّ والمقاميّ وفقا لأصول وضوابط الفهم والاستنباط"[6].

و قد حث القرآن الكريم ،في مجال المعنى الإدراكي، في كثير من نصوصه على ضرورة تدبره و الوقوف على مقاصده مثل قوله تعالى: {فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }[7] ،وحثهم على التدبر : { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ}[8] ، وقال أيضا :{ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً } [9]، وقال سبحانه وتعالى:{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [10]إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى هذا، فإن التدبر هو السبيل القويم للوقوف على معاني القرآن الكريم ،إذ إن التدبر هو الهدف الأساسي من نزول القرآن كي يتذكر أهل النهى بما فيه من عظات ،و عبر ، و توجيهات للنجاح في الدنيا و الآخرة.

---

[6] -ينظر: العرفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، إعداد م:حمود توفيق محمد سعد ،الطبعة الأولى 1424هـ،ص13.

[7] -سورة التوبة :122.

[8] -سورة ص:22.

[9] -سورة النساء:82.

[10] -سورة محمد:24.

لهذا ،فإن الدراسة تحاول استنطاق التراكيب القرآنية لتلمس السمات البلاغية لهذا البيان ، وتحرص على أن تمزج النظر في السمات البلاغية بالنظر في لطائف معانى الوحي الكريم ، وما تحوي تلك التراكيب في بيان الوحي من دقائق، ورقائق، ولطائف معانى الهدى .

ماهية البلاغة القرآنية

إن القرآن الكريم كلام الله المعجز المنزل على سيدنا محمد صلى الله وسلم بواسطة الأمين جبريل عليه لينذر الثقلين بلسان عربي مبين ،هذا اللسان الذي اختير لإظهار الإعجاز البياني في كلام الله تعالى في جميع وجوهه، وأحواله، و تعبيراته ليجعل البشر يقفون حائرين في هذا النسيج البياني المحكم و المبهر ، ويجعلنا نبحث عن أسرار هذا الإعجاز رغم أنَّ ألفاظه، كما نعلم، هي نفس الألفاظ التي كان يستعملها العرب في شعرهم ،و نثرهم ،و التواصل فيما بينهم.

و في هذا يقول ابن خلدون:" إن القرآن نزل بلغة العرب - وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"[11].

و لكنَّك لو حاولت أن تنزع لفظا من ألفاظه لتأتي بشبيه له مكانه لايسعفك المعنى و لا السياق، وفي هذا يقول" أبو محمد بن عطية الأندلسي " [ت: 546هـ] : " وكتاب الله ؛ لو نُزِعت منه لفظة ، ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لما وُجِد ، ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع ؛ لقصورنا عن مرتبة العرب - يومئذ - في سلامة الذوق ، وجودة القريحة ، ومَيْزِ الكلام "(12).

11 –مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الطبعة السابعة أمكتبة وهبة ، القاهرة،ص326.

12 – ابن عطية :المحرر الوجيز : ج1ص 39 – ط: المجلس العلمي بفاس – تونس : 1395

و بهذا، وغيره كثير، تحدى القرآن الكريم العرب، أصحاب ومؤسسي اللسان، ليأتوا بمثله فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ،لأنهم ،كما يقول عبد القاهر، أعجزتهم" مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها ، وفي مضرب كلِّ مثلٍ ومساق كلِّ خبرٍ وصورة كلِّ عِظةٍ وتنبيه وإعلام وتذكيرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ ، ومع كلِّ حجة وبرهان وصفة وتبيان،وبهرهم أنَّهم تأمَّلوه سورة سورة ، وعُشْرا عشرا ،وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور ،ونظاما ،والتئاما، وإتقانا، وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه السماء موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول وخلدت القروم فلم تملك أن تصول »[13].

بل إنَّ "أبا سليمان الخطابي " ، وهو أول من تحدث عن البلاغة الخاصة بالقرآن الكريم، بيَّن أن حسن اختيار الكلمات وانتقائها و جعلها كاللبوس الحسن اللائق للمعنى هي عمود بلاغة الخطاب عامة ، فكيف بذلك في بلاغة القرآن الكريم ؟

و تأسيسا على ذلك، فإن " عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إمَّا تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإمَّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة " [14].

---

[13] – دلائل الإعجاز :39

[14] – الخطابي :بيان إعجاز القرآن: ص 29 – ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – تح : محمد خلف الله وزغلول سلام – دار المعرف بمصر :1387

بل إنه "لا معنى لهذه العبارات [البلاغة والقصاحة ..] وسائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها في ماله كانت دلالة ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب وأولى بأن تطلق لسان الحامد وتطيل رغم الحاسد ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية» (15).

ولو دققت النظر في قوله:" ويختار له اللفظ ..." كيف أنّه أوجب في اللفظ المختار خمس صفات :

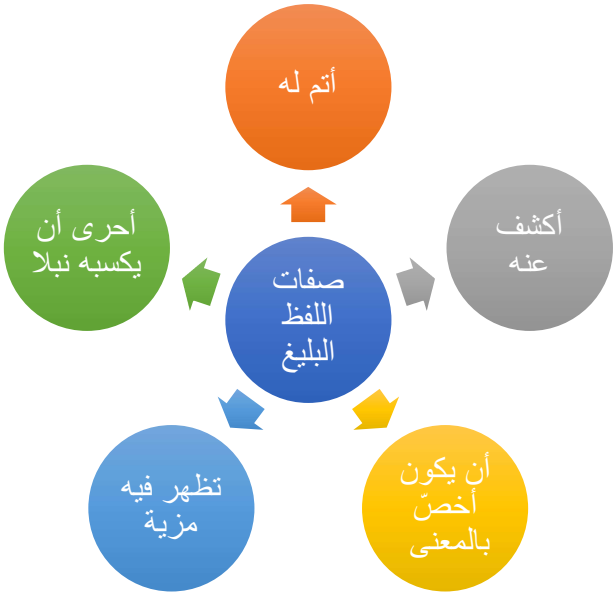

15 – دلائل الإعجاز : 43

إن هذه الصفات لا تبرز إلا إذا وضع اللفظ في موضعه الذي يقبله السياق و يرتضيه المعنى و يختاره الذوق فإنّك، في بعض الحالات، ترى "الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ،ثُمَّ تراها بعينها تثقُلُ علَيْكَ وتوحشك في موضع آخر »[16] .

و ذلك أن القرآن جاء متحديا لهم ،و من هنا فإنه من المعلوم" أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل، وأن للتفاضل فيه غاياتٍ ينأى بعضها عن بعض، ومنازل يعلو بعضها بعضا، وأن علم ذلك علم يخص أهله، وأن الأصل والقدوة فيه العرب، ومن عداهم تبع لهم، وقاصر فيه عنهم، وأنه لا يجوز أن الذي نزل في الوحي، يدعى للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبي وكان فيه التحدي، أم زادوا على أولئك الأولين، أو كُملوا في علم البلاغة أو تعاطيها لما لم يكُملوا له .كيف؟ ونحن نراهم يحمِلون عنهم أنُفسهم، و يبرأون من دعوى المداناة معهم، فضلا عن الزيادة عليهم"[17].

في هذا المسعى فإن البدايات الأولى لهذا النوع من التفسير ،كانت مع الصحابي الجليل ابن عباس .فهو يشكل البداية الحقيقية ، والمحطة الأولى،في التفسير اللغوي ،من اعتماده على الشعر العربي ،ولغة العرب في التفسير ، وهي البدايات التي استفاد منها كثير من المفسرين ،واللغويين الذين جاءوا بعده .مما جعل كثيرا من الدارسين يعدون جهود ابن عباس في التفسير هي النواة الأولى في تفسير القرآن الكريم تفسيرا لغويا وأدبيا[18].

مراحل المقاربة البلاغية في تأويل القرآن الكريم:

[16] – دلائل الإعجاز : تح : شاكر ص 46.

[17] – الرسالة الشافية 579 ، ملحقة بدلائل الإعجاز.

[18] – موسوعة مدرسة مكة في التفسير : تفسير ابن عباس:للدكتور احمد العمراني .دار السلام :2011.

من المعلوم الذي لا يخفى على ذي لب أن لغة القرآن لغة معجزة أبهرت، كما أسلفنا، العرب أهل البيان والفصاحة و البلاغة ،بل وقفوا حيالها واجمين لأنَّ هذه اللغة" التي نزل القرآن معجزا بها قادرة بطبيعتها هي أن تحتمل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين : كلامٍ هو الغاية في البيان فيما تطيقه القوى، وكلامٍ يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كل الوجوه"[19].

لهذا فإن عجز الإنس و الجن على أن يأتوا بمثله أصبح ظاهرا للعيان ،وفتح الباب على مصراعيه للتدبر وللتقرب من معانيه التي حملتها التراكيب في دقائقها، و فهم الرسائل التي حوتها لتصير منهاجا للحياة السوية و الناجحة، وفي ذلك يقول ابن مسعود : "مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ ، فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ"[20].

و من هنا سنحاول تبيان، حسب مقدورنا وتقديرنا، المراحل المطلوبة في المقاربة البلاغية لإدراك كنه ،رغم بعدنا البعد المطلق لفهم مراد الله تعالى، تلك الحقائق المخبوءة بين التراكيب

و المراحل هي:

[19] –مداخل إعجاز القرآن 164.

[20] –أخرجه الطبراني في " الكبير " (9 / 146)، رقم (8665) من طريق زهير، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، و ذكره الهيثمي في " المجمع " (7 / 168)، وقال: رواه الطبراني بأسانيد، و رجال أحدها رجال الصحيح. و أخرجه عبد الله بن أحمد في الزهد رقم (532) و الطبراني أيضا (9 / 146)، رقم (8666) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن عبد الله.

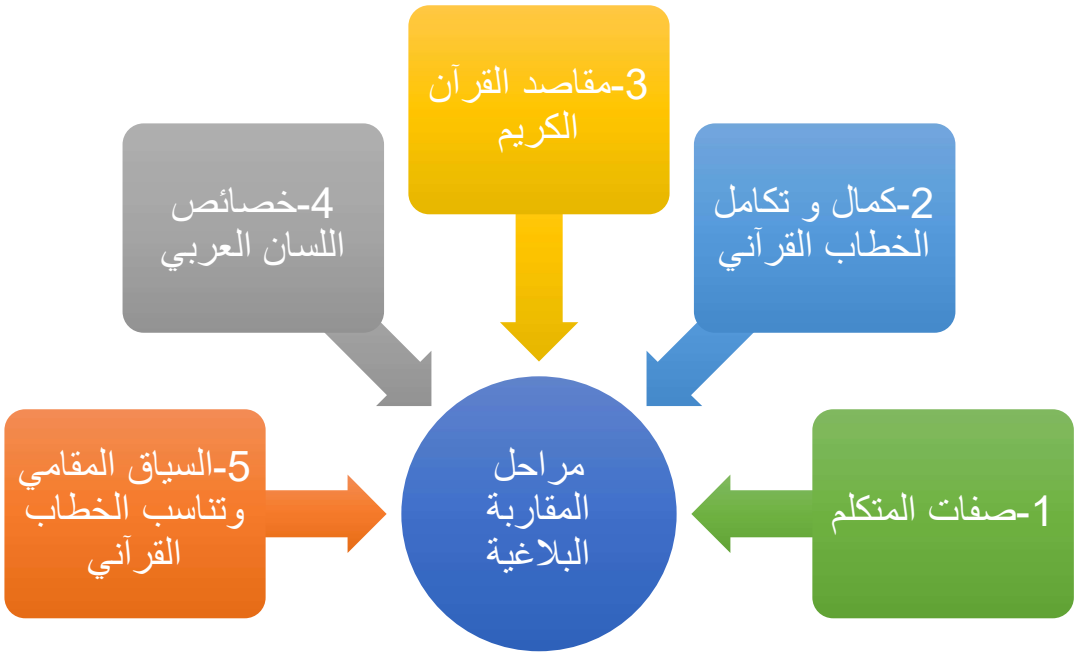

فهذه المراحل التي بينها هذا المخطط تعتبر ركنا ركينا في المقاربة البلاغية للنص القرآني الكريم .

المرحلة الأولى صفات المتكلم :

و ذلك لأنَّ معرفة و تبيان صفات المتكلم تجعل القارئ يدرك الفرق الشاسع بين كلام الله تعالى و غيره من الخطابات البشرية التي يظهر فيها حقيقة ضعف الإنسان، أما صفات الله المتكلم في الخطاب القرآني الكريم فهي تعكس الصفات العلى لله تعالى فهو الأوّل الذي ليس قبله شيءٌ، والآخر الذي ليس بعده شيءٌ، وهي صفةٌ ذاتيّة لله جلّ في علاه، والمعنى أنّ الله تبارك وتعالى لم يسبقه شيءٌ في الوجود، فهو موجود قبل خلق الوجود، قال الله تعالى: "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيءٍ عليم"[21].

[21] –سورة الحديد الآية :4.

ولهذا إذا وجدنا القرآن يأتي بصفتي الإتيان والمجيء ،مثلا، فهما غير صفات الإتيان و المجيئ لدى المخلوقات ،فصفة الإتيان وصفة المجيء هي الصفات الفعليّة الخبريّة، وهي ثابتة في القرآن والسنّة، فالله سبحانه وتعالى يأتي ويجيء، فيجب أن نؤمن باللفظ والمعنى، دون السؤال عن الكيفيّة، قال الله –سبحانه-: "هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغمام والملائكة وقضي الأمر"، وقال –أيضاً-: "وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً". فالإجابة هي صفةٌ من الصفات الفعليّة لله –تعالى-، وهي مأخوذة من اسم الله المجيب، فالله سبحانه وتعالى مجيب للدعوات، قال الله: "وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيب دعوة الداعي إذا دعانِ"، فهو الذي يجيب دعوات عباده، وهو الذي يجيب المضطرين، وهو الذي يقبل من الانابة من المستغفرين. الإحاطة، فالله تبارك وتعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط الأزمان، وأحاط الأماكن، فهو الأوّل والآخر، وهو الظاهر والباطن.

المرحلة الثانية كمال وتكامل الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني كامل و متكامل كما وصف القرآن القرآن بذلك قال تعالى:"ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا "[22] فقد ساق لنا القرآن الكريم من كل مثل عن هذه الحياة و حقيقتها و أسرارها جسدتها تلك التراكيب القرآنية المحبوكة و المسبوكة سبكا يفوق القُوى و القُدر قال تعالى: "ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل "[23].

كل تلك المعاني التي لا منتهى لها التي تفيض غزارة وقوة و حكمة حملها ذلك اللسان العربي المبين لها ،قال تعالى:" وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا"[24].

---

[22] – الإسراء:41

[23] – الكهف:54

[24] – طه :113

و من هنا ؛ فإن أصح و أنصح الطرق في فهم القرآن الكريم "أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر ،وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر "[25]،وهكذا يكمل القرآن بعضه بعضا في نسيج محكم منقطع النظير.

لهذا فإن المتأمل في الخطاب القرآن تأمل تدبر و استنطاق لمعانيه "يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب وعلى الإجمال والتبيين وعلى الإطلاق والتقييد وعلى العموم والخصوص ،وما أوجز في مكان قد يبسط في مكان آخر، وما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر ،وما جاء مطلقا في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى وما كان عاما في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى"[26] .

المرحلة الثالثة مقـاصد الخطاب القرآني:

لا يخفى على أي عاقل أن القرآن الكريم يحمل في ثناياه مقاصد كانت السبب الرئيس في نزوله و منها قوله تعالى: " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا "[27] .

لهذا لو تمعنا في بدايات سورة البقرة لوجدنا القرآن يأخذنا إلى المكانة السامقة التي تسمو فيها أرواحنا،وعقولنا، و حياتنا بأكملها عن طريق الهداية التي يضيء لنا القرآن الكريم طريقها ويعبِّده لنا حتى نصير من المتقين الذين اتصفوا بصفات الكمال و الجمال عن طريق الإيمان بالغيب ،و امتثال أوامرالله تعلى بالعبادة الصادقة التي تجعل الإنسان خليفة بالفعل الحسن و سمو الأخلاق الطيبة الراقية ،قال تعالى:" الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

[25]-مجموع الفتاوى :13/ 363.
[26] - التفسير والمفسورون:40/1.
[27] - النساء :26- 28

(2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(5) "[28].

هذا ولو ربطنا هذه البدايات بأم أم القرآن التي هي قوله تعالى في سورة الفاتحة "إياك نعبد وإياك نستعين" لفهمنا أن المعين على العبادة الحقة هو الله تعالى الذي أنزل علينا الكتاب تبيانا لكل شيء، و توضيحا لما التبس علينا عن قصد أو غير قصد ،و ذلك لأن القرآن الكريم أصله و أمه هو تلك الآية الكريمة.

المرحلة الرابعة خصائص اللسان العربي المبين :

و هي المرحلة التي تقربنا من طرائق العرب في الإبانة عن معانيهم وأغراضهم لأن القرآن نزل بلغتهم و على شاكلة تعبيرهم ، ولهذا وجدنا عبد القاهر يركز في كتابيه على تبيان أسرار البلاغة و طرائق العرب في البيان من أجل أن يتوصل "إلى بيان أمر المعانى كيف تختلف ، وتتفق ، ومن أين تجتمع ، وتفترق ، وأفضّل أجناسَها وأنواعها " [29]،وأن يتبعَ " خَاصَّها ومُشاعها ، وأبيّنُ أحوالَها فى كرم مَنْصِبِها من العقل ، وفى تمكُّنها فى نِصابِه ، وقرب رحمها منه ، أو بعدها - حين تُنسب - عنه ، وكونها كالحليف الجارى مَجْرَى النَّسَب ، أوالزَّنِيمِ المُلْصَق بالقوم ، لا يقبلونه ، ولا يَمْتَعِضُونَ له ، ولا يَذُبُّونَ عنه » (30).

---

[28] –سورة البقرة:1-5.

[29] – عبد القاهر : أسرار البلاغة – ص:26- ط: شاكر.

[30] – المرجع نفسه، نفس الصفحة.

يجمُل بك أن تعيد قراءة مقالة "عبد القاهر" وأن تصغي إلى وقع أجراس حروفها وحركتها، وما أقامها عليه من التعادل الصوتي الذي يملأُ الأذن ، فينفذ في القلب ، فيشغله بما حمله إليه ذلك الإيقاع الفخم من المعاني ، وكيف أن عبد القاهر يوظف ذلك إيصالا لمراداته ومعانيه ومغازيه إلى قلبك، فيبعثه على أن يستغرق في لذة الفهم التي هي خصيصة الصفوة من أبناء آدم – عَلَيْهِ السَّلام ، فمن ذاق عرف ومن عرف عشق السعي في التي هي أهدى وأقوم .

و من هنا ،وجب على من يريد أن يقترب من خصائص الأسلوب القرآني و يتذوق تراكيبه وألفاظه و يفهم معانيه أنه"لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياسا وأن تصفها وصفا مجملا وتقول فيها قولا مرسلا ،بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصّل القول ،وتحصّل ،وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم ، وتعدَّها واحدة واحدة وتسميها شيئا شيئا وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الأبريسم الذي في الديباج وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع وكل آجرة من الآجر الذي في البناء البديع »[31] .

و لا نقصد بذلك القراءة المجملة لقواعد اللغة ومعاني النحو بل القراءة المتمرسة المستنطقة لدقائق اللسان العربي الذي يختزن من الكنوز العظيمة و لا ينالها إلا من تبحر و ألقى دلوه ليستخرج ماءها العذب الزلال، "لأنك لا تشفي الغلة ولا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مجملا إلى العلم به مفصلا ،وحتّى لا يقنعك إلا النظر في زواياه والتغلغل في مكامنه ، وحتّى تكونَ كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه ، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يصنع فيه إلى أن يعرف منبته ومجرى عروق الشجر الذي هو منه »[32] .

و لعل من أهم مباحثها مبحث الوصل والفصل، ومن ذلك أيضاً صحة التقسيم وهو تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، وصحة التفسير، وهو أن يورد معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها...[33] ومنها العكس وهو أن تعكس الكلام" فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول"[34].

---

[31] – دلائل الإعجاز– تح: شاكر ص 37

[32] – السابق :260

[33]–ينظر: أبوهلال الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1409هـ/ 1989م، ص 375 – 382.

[34]–المرجع نفسه: ص 411.

والعكس بهذا المفهوم استراتيجية يستعملها كثير من المتحدثين، لتعطيهم وقفة عقلية لصياغة الجملة التالية، ومنها الرجوع وهو" أن يذكر الشيء ثم يرجع عنه كقول القائل: ليس معك من العقل شيء، بلى بمقدار ما يوجب الحجة عليك."[35]

والرجوع إضافة إلى علاقته بالتماسك الدلالي، هو استراتيجية حجاجية، ومما له علاقة بالتماسك الدلالي الاستطراد " وهو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً إليه ..."[36].

ومن تلك المباحث أيضاً: جمع المؤتلف والمختلف...، والتوشيح، وشرحه أبو هلال العسكري بأنه ما كان مبتدأ الكلام فيه ينبئ عن مقطعه وأوله يخبر عن آخره[37]، وغير ذلك من المحسنات اللفظية، والمعنوية التي جعلها القدماء كالحلية الزائدة مع أن لها دوراً مهماً في التماسك اللفظي والدلالي للنص.

ولكن ما يهمنا في هذه الدراسة هو مبحث الوصل والفصل، الذي له ارتباط وثيق بمصطلح بلاغة الخطاب من حيث التماسك النصي له، وقد تميّز عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في تناوله لهذا المبحث في إطار نظرية النظم، ولذلك فهو يقول في أهمية الوصل والفصل " اعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: إنه خفي غامض، ودقيق صعب، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب"[38].

---

[35]–المرجع نفسه: ص 443.

[36]–المرجع نفسه: ص 443.

[37]– ينظر: المرجع نفسه، ص 452، وص 425.

[38]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: تحقيق: الإمام محمد عبده ومحمد محمود التركزي الشنقيطي، المصدر السابق، ص 158.

وينظر عبد القاهر الجرجاني إلى الوصل والفصل من خلال (العطف)، أو عدمه، كما ينظر عبد القاهر الجرجاني (471هـ) إلى عطف جملة على جملة أخرى معتمداً على مقولة المحل الإعرابي؛ لذلك فعطف الجمل عنده على ضربين:

أحدهما: أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، "وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد... فإذا قلت: (مررت برجلٍ خُلُقه حَسَن، وخَلْقه قبيح) كنت قد أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى، وذلك الحكم كونها في موضع جَرٍّ بأنها صفة للنكرة، ونظائر ذلك تكثر، والأمر فيها يسهل"[39].

والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني: وذلك أن "تعطف على الجملة العارية الموضع الإعراب جملة أخرى، كقولك: (زيد قائم وعمرو قاعد) (والعلم حسن والجهل قبيح)... لا سبيل لنا إلى أن ندعي أن (الواو) أشركت الثانية في إعرابٍ قد وجب للأولى بوجه من الوجوه".[40]

يذهب عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، بناء على ذلك، إلى أنه يجب مراعاة أشياء أخرى، وتلك الأشياء ترجع إلى المعاني؛ بحيث تكون جهة جامعة في مثل هذه الحالة .[41]

وفي الفصل بين الجمل يرى عبد القاهر الجرجاني (471هـ) أنه يكون في الجملة المؤكدة للتي قبلها، وكذلك حينما تختلف جهة الكلام من الحكاية إلى الخبر والعكس... ويذهب بعد ذلك إلى التفصيل في مواضع الفصل تفصيلاً دقيقاً يسنده بآيات من القرآن الكريم وأبيات من الشعر العربي[42] ويرى الفقي أن مصطلح التماسك مرادف لمصطلح التعليق عند عبد

---

[39]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: تحقيق: الإمام محمد عبده ومحمد محمود التركزي الشنقيطي، المصدر السابق، ص153.

[40]- المصدر نفسه، ص 153.

[41]-ينظر: المصدر نفسه: ص: 153- 154.

[42]- ينظر: المصدر نفسه: ص: 155-156.

القاهر (471هـ)[43]، وهذا قد لا يكون صحيحاً على إطلاقه وعمومه، ولا يساعد عليه النص المقتبس من الجرجاني عند الفقي، ولكن الأولى بالصواب، فيما أرى، عدُّ مصطلح (النظم) أو (الضم) عند عبدالقاهر (471هـ) أقرب إلى مصطلح التماسك في المفهوم من مصطلح التعليق[44].

ولأجل ذلك فإن نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني (471هـ) من أهم النظريات في الجهد اللغوي العربي عند القدماء، وقد تناولها اللسانيون، والنقاد، والبلاغيون، والمفكرون بالدرس[45].

ولكن من المهم أن يعرف في هذا المقام أن عبد القاهر الجرجاني (471هـ) يقيم نظريته في (النظم) على النحو؛ إذ يقول: "ما أظن بك أيها القارئ لكتابنا إن كنت وفيّته حقّه من النظر، وتدبّرته حقّ التدبر، إلا أنك قد علمت علماً أبى أن يكون للشك فيه نصيب، وللتوقف نحوك مذهب أن ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم ..."[46]

والقاعدة في ذلك كله « لا بُدَّ لكلِّ كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل وعلى

---

[43]- صبحي إبراهيم الفقي علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ، ج1، ص 78.

[44]-ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): ج1، المرجع السابق، ص:75-76

[45] -ينظر كتابنا: تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص دراسة تطبيقية في سورة البقرة، الطبعة الأولى 2014م،دار القدس العربي وهران الجزائر ص:153.

[46]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: تحقيق: الإمام محمد عبده ومحمد محمود التركزي الشنقيطي، المصدر السابق، ص: 335-336.

صحة ما ادعيناه من ذلك دليل وهو باب من العلم إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة ومعان شريفة » (47).

المرحلة الخامسة السيـاق المقامي و الخطاب القرآني :

يعتبر السياق الخارجي في الحديث عن تنزل القرآن سببا رئيسا من أسباب تنزل السور و الآيات، و ذلك للتطابق مع الأحداث التي تمر بها الطائفة المسلمة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

لهذا فإنَّ النّصّ القرآني خطابٌ متعدّد الجوانب، ونصّ متماسك ومتجانس، ويتضمن أدوات إحالية تقوم بوظيفة الإحالة، منها أدوات الإحالة الدّاخلية ومنها آليات الإحالة الخارجية: فأسماء الإشارة وظروف الزمان والمكان والضمائر وأسماء الموصول وأزمنة الأفعال، وكل الأدلة التعيينية والوصفية والإشارية تعمل على ربط الخطاب القرآني بالواقع الزماني والمكاني الذي أحاط بنزوله باعتباره خطابا[48].

« أُنْزِلَ القرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ القَدْرِ إلَى السَّماءِ الدُّنيَا وَكانَ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ، وكانَ ينزل على رسُولِه صلى الله عليه وسلم بعضَه فى أثَرِ بعض ...»[49] لذا كانت العرضتان الأخيرتان للقرآن الكريم فى شهر رمضان الأخير من حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم مطابقتين فى ترتيب الآيات والسور لما هو عليه فى اللوح المحفوظ فى بيت العزة ، وبذلك تطابقت صورة الترتيب الكليّ للقرآن الكريم فى أطورها التنزيليّة الثلاثة ، فما بين أيدينا من صورته الترتيبيَّة آياته وسورة هو ما عليه القرآن الكريم فى اللوح المحفوظ وفى بيت العزة[50].

---

[47] – السابق : 41

[48]–ينظر: النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 164.

[49] – المستدرك الكتاب السابق – حديث:7/2878.

[50] – ينظر: مقدمتان في علوم القرآن : ص 39 ،وما بعدها

الخلاصة :ولقد حاولنا فيما سبق تبيان أهم المراحل التي تمر بها المقاربة البلاغية في فهم القرآن الكريم وتدبره بهدف إظهار جمالية الأسلوب القرآني مع الاعتماد على الأنماط اللغوية المتميزة و الأشكال الأسلوبية والتعبيرية الخاصة ،و المتنوعة التي يحفل بها النص القرآني،وبها تتكشف جمالية البيان القرآني في الجانب التعبيري والأدائي ، والتبليغي. فالقرآن الكريم اتخذ عدة وسائل و انفرد بعدة أشكال تخاطبية و تميز بعدة صيغ أسلوبية في التعبير والإبلاغ والأداء، واستعمل أنماطا متعددة في تركيب المفردات و بناء التعبير، والأشكال التي جاءت في النصوص القرآنية[51].

هذا وغيره مما جعل القرآن يسمى بالبيان العالي لأنه "لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك"[52]،وهذا المنحى البياني والجمالي هو ما يعمل المفسر البياني على إظهاره وإبرازه واستكشافه في عمله التفسيري خدمة لأدبية النص القرآني[53].

وتلك المراحل هي المساعد الأساس للمفسر البلاغي لإبراز جمالية النص القرآني وسر تميزه عن غيره مع ضرورة التركيز في هذا التفسير على إدراك خصائص اللغة العربية ، لأن القرآن الكريم جاء حاملا لأعلى مراتب البيان و الانجاز الكلامي ،لهذا وجب التمرس على فنون البلاغة من خلال دراسة الشعر الجاهلي . قال ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن: "وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ،واتسع علمه ،وفهم مذاهب العرب واقتناءها في الأساليب"[54].

---

[51] – النحو القرآني على ضوء لسانيات الخطاب للدكتورة هناء محمود إسماعيل.دار الكتب العلمية:2012.

[52] –البيان و التبيين،29/3.

[53] – أدبية النص القرآني : بحث في نظرية التفسير. لعمر حسن القيام. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.2012.يراجع أطروحة الدكتور احمد أبو زيد التناسب البياني في القرءان الكريم. وهي أطروحة منشورة ضمن قائمة منشورات كلية الآداب الرباط المغرب..

[54] – تأويل مشكل القرءان لابن قتيلة :12

الحجاج البياني في الخطاب القصصي القرآني

سورة الكهف أنموذجا

بين يدي السورة:

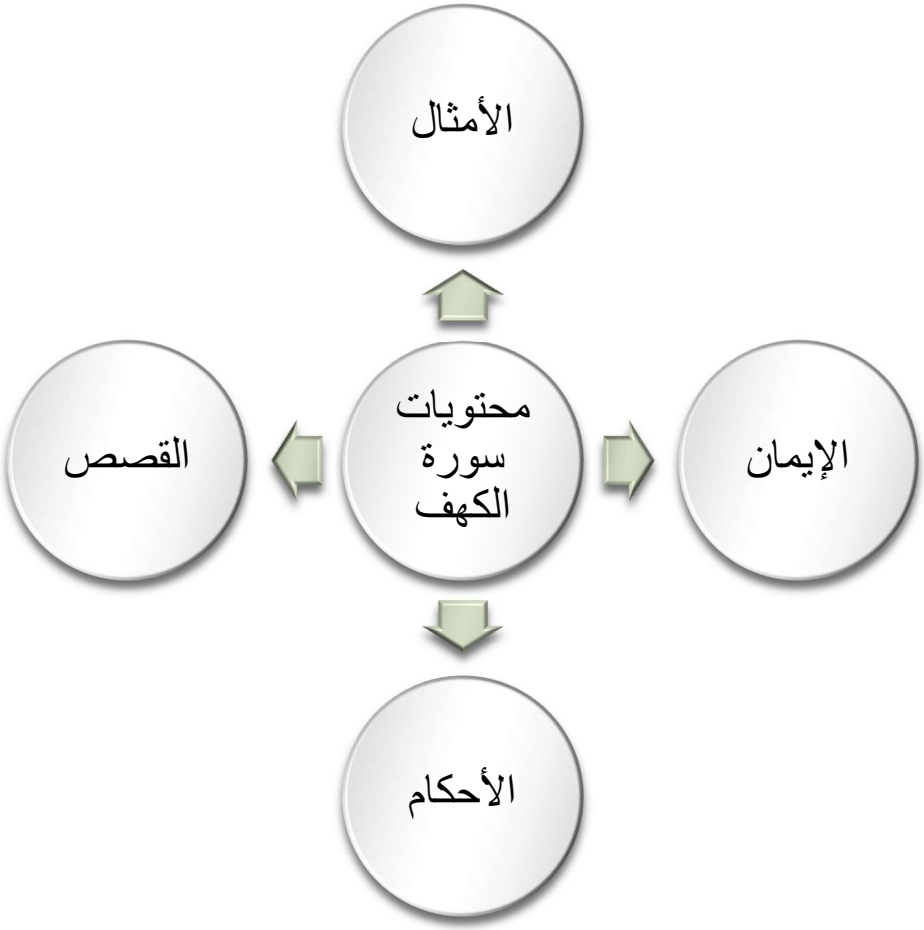

تفسير سورة الكهف.

مقدمة: أنزل الله القرآن الكريم لينير درب الإنسان في هذه الحياة وكلما تقرب الإنسان من القرآن تدبرا و فهما بصر الطريق الحق و انزاحت من أمامه العراقيل و المتاريس ، ومن هنا كان القرآن يهدي للتي هي أقوم فكأن الطريق القويم الذي يبحث عنه الإنسان لن يهتدي

إليه ،رغم أننا نجد فيما كتب الإنسان منذ عصور سالفة محاولات للبحث عن هذه الطريق إلا أنه لم يهتد إليها، إلا بالعودة إلى كتاب

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :"إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ[55]"

قول النبي صلى الله عليه وسلم)) :الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا لِمَنْ ؟ قَالَ: " لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ "[56]

في حديث العرباض بن سارية أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[57]

"الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ"[58]

"الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ"[59]

بين يدي السورة :

سورة الكهف تأتي في وسط المصحف وكأنها رابط بين النصف الأول من سور القرآن و النصف الثاني من سوره لتجعل هذه النقلة مبدأها الحمد و ختامها الإخلاص في العمل ، و هذا الأمران هما ركيزة النجاح في الدنيا والآخرة كلما كان الإنسان ذاكرا لله مستعينا به فاز و نجح و إذا كانت كل حركاته واقواله خالصة لله رأى التوفيق رأي العين " ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ".

---

[55]- رواه أبو داود (4263) ، وصححه الألباني رحمه الله في (صحيح سنن أبي داود). (3585)
[56] - رواه مسلم (55) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.
[57] -رواه أبو داود (4607) ، والترمذي (2676) ، وابن ماجه (42) ، وصححه الألباني رحمه الله في (صحيح سنن أبي داود). (3851)
[58] -رواه أحمد (278/4) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، وحسنه الألباني رحمه الله في (صحيح الجامع).(3109)
[59] -رواه ابن حبان (559) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه الألباني رحمه الله في (الصحيحة). (1778)

و كأن الكهف الذي يدخل إليه الإنسان ويجد فيه سر الأسرار و فاتحة الخير هو هذا الكهف الذي يبدأ بالحمد فكلما كان الإنسان ذاكرا لله تعالى كان الله معه قال تعالى:) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ) البقرة/ 152قال تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) النحل/ 120 ، 121 .

قصص السورة الكهف

أ. قصة أهل الكهف

ب. قصة الرجلين (الغني والفقير)

ت. قصة السجود لآدم.

ث. قصة موسى والخضر

ج. قصة ذي القرنين

تناسب فواتح الكهف مع خواتيم الإسراء

قال في خاتمة الإسراء (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)) وقال في بداية الكهف (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2)). في الإسراء قال (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) وفي

الكهف قال (الْحَمْدُ لِلَّهِ) (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) الخطاب موجه للرسول ρ فقال الحمد لله كأنه استجاب، يعني أمره بحمد الله في خواتيم الإسراء فاستجاب في أول الكهف الحمد لله. وذكر الكتاب في ختام الإسراء (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105)) وفي الكهف قال (الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا) وبالحق أنزلناه وبالحق نزل لم يجعل له عوداً قيّماً، أكّد نزوله من قِبَل الله سبحانه وتعالى قيماً لم يجعل له عوجاً. في خواتيم الإسراء قال (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وفي الكهف قال (لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ) من ينذر ومن يبشر؟ قسم قال في سورة الإسراء الرسول ρ هو العبد المبشّر وقسم قال القرآن وكلاهما واحد. في ختام الإسراء قال (الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) وفي الكهف قال (وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4)). نلمح أن بعض آيات القرآن توضح وتفسر وتضيف إلى آية أخرى وتجعلها في سياقها.

هدف السورة: العصمة من الفتن

سورة الكهف هي من السورة المكية وهي إحدى خمس سورة بدأت بـ (الحمد لله) (الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر) وهذه السورة ذكرت أربع قصص قرآنية هي أهل الكهف، صاحب الجنتين، موسى عليه السلام والخضر وذو القرنين. ولهذه السورة فضل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء الله له من النور ما بين قدميه وعنان السماء" وقال" من أدرك منكم الدجال فقرأ عليه فواتح سورة الكهف كانت له عصمة من الدجّال" والأحاديث في فضلها كثيرة.

وقصص سورة الكهف الخمسة يربطها محور واحد وهو أنها تجمع الفتن الخمسة في الحياة: فتنة الدين (قصة أهل الكهف)، فتنة المال (صاحب الجنتين)، فتنة العلم (موسى u والخضر) وفتنة السلطة (ذو القرنين). وهذه الفتن شديدة على الناس والمحرك

الرئيسي لها هو الشيطان الذي يزيّن هذه الفتن ولذا جاءت الآية (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) آية 50 وفي وسط السورة أيضاً. ولهذا قال الرسول صل الله عليه وسم أنه من قرأها عصمه الله تعالى من فتنة المسيح الدجّال لأنه سيأتي بهذه الفتن الأربعة ليفتن الناس بها. وقد جاء في الحديث الشريف: "من خلق آدم حتى قيام ما فتنة أشدّ من فتنة المسيح الدجال" وكان r يستعيذ في صلاته من أربع منها فتنة المسيح الدجال. وقصص سورة الكهف كل تتحدث عن إحدى هذه الفتن ثم يأتي بعده تعقيب بالعصمة من الفتن:

1. فتنة الدين: قصة الفتية الذين هربوا بدينهم من الملك الظالم فآووا إلى الكهف حيث حدثت لهم معجزة إبقائهم فيه ثلاثمئة سنة وازدادوا تسعا وكانت القرية قد أصبحت كلها على التوحيد. ثم تأتي آيات تشير إلى كيفية العصمة من هذه الفتنة (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا) آية 28 – 29. فالعصمة من فتنة الدين تكون بالصحبة الصالحة وتذكر الآخرة.

2. فتنة المال: قصة صاحب الجنتين الذي آتاه الله كل شيء فكفر بأنعم الله وأنكر البعث فأهلك الله تعالى الجنتين. ثم تأتي العصمة من هذه الفتنة (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ

ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) آية 45 و46. والعصمة من فتنة المال تكون في فهم حقيقة الدنيا وتذكر الآخرة.

3-رأس الفتن:"وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا "

4. فتنة العلم: قصة موسى عليه السلام مع الخضر وكان موسى rعليه السامظنّ أنه أعلم أهل الأرض فأوحى له الله تعالى بأن هناك من هو أعلم منه فذهب للقائه والتعلم منه فلم يصبر على ما فعله الخضر لأنه لم يفهم الحكمة في أفعاله وإنما أخذ بظاهرها فقط. وتأتي آية العصمة من هذه الفتنة (قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) آية 69. والعصمة من فتنة العلم هي التواضع وعدم الغرور بالعلم.

5. فتنة السلطة: قصة ذو القرنين الذي كان ملكاً عادلاً يمتلك العلم وينتقل من مشرق الأرض إلى مغربها يعين الناس ويدعو إلى الله وينشر الخير حتى وصل لقوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج فأعانهم على بناء سد لمنعهم عنهم وما زال السدّ قائماً إلى يومنا هذا. وتأتي آية العصمة (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) آية 103 و104. فالعصمة من فتنة السلطة هي الإخلاص لله في الإعمال وتذكر الآخرة.

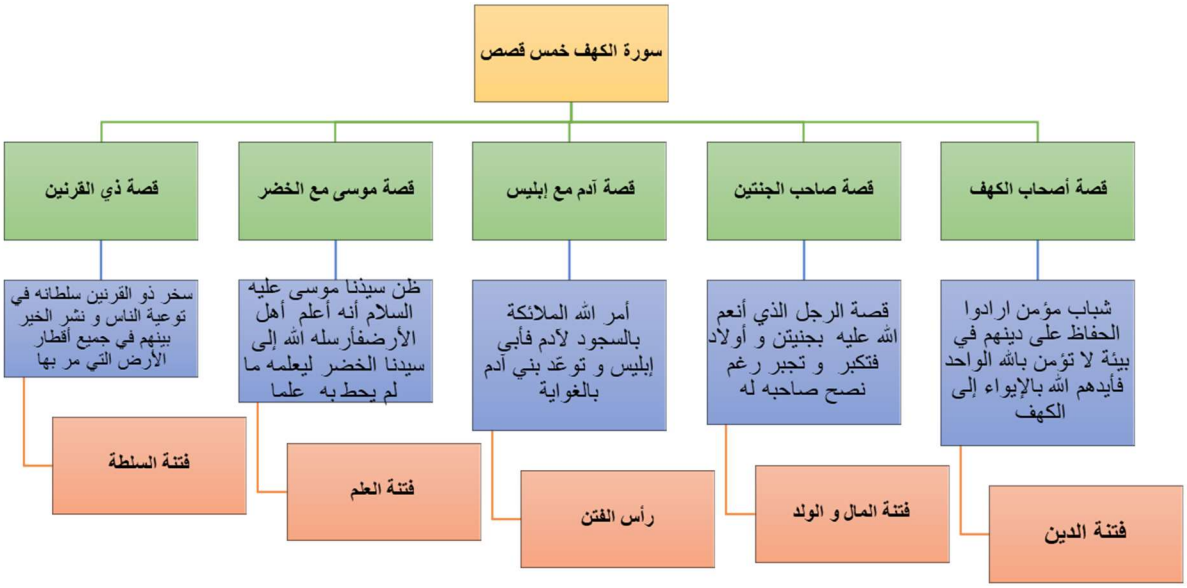

ختام السورة: العصمة من الفتن: آخر آية من سورة الكهف تركّز على العصمة الكاملة من الفتن بتذكر اليوم الآخرة (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) آية 110 فعلينا أن نعمل عملاً صالحاً صحيحاً ومخلصاً لله حتى يَقبل، والنجاة من الفتن انتظار لقاء الله تعالى.

عدد التشبيهات في القرآن الكريم:

عدد التشبيهات	1	2	3	4	5	6	8	16

السور	العنكب	القصص	يونس-	آل	يس-	الأعرا	الرح	البقر
	وت-	-لقمان-	هود-	عمران-	النازعا	ف-	من	ة
	طه-	الحديد-	الأنفال-	إبراهيم-	ت-	النحل-		
	مريم-	المائدة-	الشعراء-	النمل-		الصافات		
	القدر-	الحشر-	الأحزا	الواقعة-		-القلم		
	الفجر-	المدثر-	ب-	القمر-				
	المنافقون	المرسلا	الحشر-	الإسراء				
	-	ت-الحجر-	محمد-	-				
	الطارق-	القارعة	الذاري	الكه				
	الحاقة-	—الفيل-	ات-	ف-				
	المطففين	النساء-	المعارج-	النور-				
	-عبس-	الأنعام		الصف				
	المزمل-			-				
	نوح-			الإنسان				
	الفرقان-							
	الأنبياء-							
	الحج-							
	السجدة-							
	الرعد-							
	الزمر-							
	ص-							

	الجمعة- الطور- النجم- فصلت- الفتح- يوسف- الشورى- الأحقا ف- الروم- الدخان- الزخرف -							

الصور البيانية في السورة

-الاستعارة التمثيلية:

في قوله تعالى{ :فَلَعَلَّكَ باخعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا }فقد مثل حاله صلّى الله عليه وآله وسلّم، في شدّة الوجد، على إعراض القوم وتوليهم عن الإيمان

بالقرآن وكمال الحزن عليهم، بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه، إثر فوت ما يحبه عند مفارقة أحبته، تأسفا على مفارقتهم، وتلهفا على مهاجرتهم.

- الاستعارة التبعية:

في قوله تعالى :"فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ" شبه الإنامة الثقيلة بضرب الحجاب على الآذان، كما تضرب الخيمة على السكان.

وجوز بعضهم أن تكون من باب الاستعارة التمثيلية.

-التكرير في قوله تعالى :"وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا".

نفي العوج عنه معناه إثبات الاستقامة له، وقد جنح إلى التكرير لفائدة وهي التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح.

-2المطابقة فقد طابق سبحانه جل جلاله بين العوج والاستقامة، فكان رائعا لا مجال فيه لمنتقد.

-3نفي الشي ء بإيجابه:

في قوله تعالى"قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ" لهذا الفن تسمية أخرى وهي: عكس الظاهر.

وهو أن تذكر كلاما، يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف، وهو نفي للموصوف أصلا. فاتخاذ الله ولدا في نفسه محال، فكيف قيل "ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ".

معنى ذلك: ما لهم به من علم، لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشي ء وإمّا للجهل بالطريق الموصل، وإمّا لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به. فقد ورد الكلام على سبيل التهكم والاستهزاء بهم.

- الاستعارة التصريحية التبعية: في قوله تعالى :"وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ". الربط هو الشد بالحبل. والمراد قوينا قلوبهم بالصبر على هجر الأوطان والفرار بالدين إلى الكهف، وجسرناهم على قول الحق والجهر به أمام الجبارين.